7

د. الصاوي حبيب

❖ كان يكره الحقن ويقول: علاج الوجع أكثر ألماً من الوجع !

❖ وفاة عبد الناصر طبيعية دون أية أعراض للتسمم !

❖ زوجته كانت تعد له طعامه الخاص بنفسها !

obeikan.com

obeikan.com

لا تزال وفاة عبد الناصر ـ رغم مرور أكثر من عشرين عاما عليها ـ تمثل لغزا عصيا على الحل ...

الأمريكان قالوا أن الروس قتلوه ... والروس قالوا أن الأمريكان هم الذين فعلوها ... واليمين أتهم اليسار ، واليسار ألصقها باليمين ... ولكن أحدا لم يبحث عن حل لهذا اللغز عند أهل الحل ... أطباؤه المعالجون ، وهم الذين ظلوا فترة طويلة خارج الحلبة يتفرجون على ما جرى داخلها بين أطراف النزاع وكأن الأمر لا يعنيهم .. فقد ظلوا ينظرون إليه على أنه نزاع سياسي وليس نزاعا طبيا . وأيا كانت حقيقته ومظاهره كان عليهم أن يتحدثوا لإحقاق الحق وإنصاف العدل .

وإذا كان الدكتور منصور فايز قد أصدر مذكراته حول تلك الفترة وأجاب عن العديد من التساؤلات التي طرحناها عليه إلا أن بعض التساؤلات كان يحتاج لإجابات من غيره ... من الدكتور الصاوي حبيب على وجه التحديد ، فهو الطبيب الخاص أو المرافق للرئيس والذي كان يتولى تنفيذ البرنامج العلاجي الذي اتفق عليه فريق الأطباء . وطبيب تلك هي مهمته كان لابد أن يظل ملازما للرئيس أينما ذهب وحيثما حل . لهذا فإن شهادة الدكتور الصاوي الذي يتحدث لأول مرة تعتبر مهمة وخطيرة في الطريق الموصل إلى الحقيقة .

متي دخلت بيت جمال عبد الناصر لأول مرة كطبيب مرافق للرئيس ؟

ـ بعد النكسة مباشرة ... في عام ٦٧ أي أنني توليت مرافقة الرئيس عبد الناصر كطبيب خاص في أشد الظروف السياسية والوطنية قسوة .

من الذي رشحك لهذه المهمة ؟

ـ الذي اختارني لهذا العمل هو جمال عبد الناصر ... أما من الذي رشحني له فلا أعرف اسمه حتى الآن .

من الذي اتصل بك ليبلغك اختيار الرئيس لك كطبيب خاص ؟

ـ السيد محمد أحمد ، سكرتير الرئيس الخاص ، هو الذي أجري معي اتصالا تليفونيا ليبلغني باختيار الرئيس لي للقيام بهذه المهمة التي اعتبرها من وجهة نظري أنها كانت مهمة تاريخية ووطنية في آن واحد .

ما الذي دار بينكما في أول لقاء لك مع الرئيس ؟

ـ كان كل اهتمامي منصبا حول معلومات عن التاريخ المرضي للرئيس ونوع العلاج الذي يتعاطاه وآخر تقرير طبي عن حالته ، ثم أجريت الكشف الطبي عليه لأقف بنفسي على حالة الرئيس والمدى الذي وصلت إليه .

ألم يتحدث معك الرئيس عن أسباب اختياره لك ؟ ألم يتطرق معك إلى أي موضوع شخصي كأن يسألك عن ظروفك وأحوالك ، كما كان يفعل دائما مع الذين يقابلهم لأول مرة ؟

ـ لم يحدث شيء من ذلك ، فلا هو سألني عن أسباب اختياره لي ولا أنا سألت بدوري ، لأن اختياره في الغالب تم عن طريق الأسرة أو عن طريق السيد/ محمد أحمد سكرتيره وهو بالتأكيد يعرف عني كل شيء وإلا لما اختارني لأكون بجواره في هذه المهمة الخطيرة «طبيب الرئاسة وطبيب الرئيس» .

وهل كان السيد محمد أحمد يعرفك قبل ذلك ؟

ـ نعم كان يعرفني بحكم أنني كنت طبيباً بالرئاسة ضمن فريق طبي يعمل هناك منذ فترة ، فلم أكن جئت من الخارج .

هل كنت ضمن أطباء الجيش الذين كانوا يتولون علاج الرئيس ويشرفون على صحته العامة ؟

ـ نعم ، كنت طبيبا بالقوات المسلحة والتحقت بالرئاسة ، فأطباء الرئيس في ذلك الوقت كانوا من العاملين بالمستشفيات العسكرية .

يدخن بشراهة

بالطبع كان الرئيس يدخن ، فهل تحدثتم معه في أمر الامتناع عن التدخين نظراً لخطورة ذلك على صحته ؟

ـ نعم كان الرئيس يدخن ، ويدخن بشراهة ، كان يدخن بمعدل علبتين في اليوم أي حوالي ٤٠ سيجارة وقد حاولنا إيقافه عن التدخين ولكنه كان عنيداً معنا في هذا الموضوع بالذات ، فقد كان التدخين هو متعته الوحيدة . وأذكر أنه في بداية عملي كتبت تقريراً عن حالته الصحية وذكرت فيه الأسباب التي تستوجب امتناعه عن التدخين ، ولكن الرئيس لم يأخذ به وظل يدخن حتى امتنع عنه بعد أن حدثت له مضاعفات نتيجة مرض السكر الذي أصيب به منذ عام ١٩٥٨ .

وهل حدثت له بعض التوترات العصبية التي تصاحب حالة الامتناع عن التدخين ؟

ـ مطلقا لم يحدث ذلك ... وكان طبيعيا إلى أقصي حد . وأصبح الرئيس بعد امتناعه عن التدخين كأنه لم يدخن في حياته ، ولم يكن يتضايق لرؤيته أحد المدخنين أمامه . أو من رائحة الدخان .

هل قررتم ـ أنتم الفريق المعالج للرئيس ـ برنامجا للعلاج الطبيعي ليساعد على سرعة شفاء الرئيس خاصة بعد إصابته بآلام الساق اليمني ؟

ـ نعم حدث ذلك ... وإذا كنت تقصد اسم الدكتور على العطفي الذي رددت بعض الجهات أنه كان يقوم بتدليك الرئيس بنوع من السم يسري في جسده ببطء

ليقتله ، فهذا كلام فارغ ، ولم أسمع باسم مثل هذا الطبيب من قبل إلا حينما ذكرته بعض الصحف . وسمعته مثلك تماما ، وإذا كنت تعرف طبيبا بهذا الاسم فأنا أعرفه أيضا ... إنه اسم وهمي لشخصية وهمية وليس جمال عبد الناصر هو الرجل الذي يحضر طبيبا من وراء ظهر فريقه الطبي .

الدكتور فودة ... وليس العطفي!

إذن من هو الطبيب الذي قام بالعلاج الطبيعي للرئيس ؟

- طبيب العلاج الطبيعي للرئيس هو الدكتور محمد فودة رئيس قسم العلاج الطبيعي ،وكان عائدا من إنجلترا بعد أن أنهي دراسته هناك .

ومن الذي رشح له اسم الدكتور محمد فودة ؟

- لم يرشحه أحد ، فقد سألنا عن رئيسي قسم العلاج الطبيعي بالقوات المسلحة ، فقالوا لنا اسمه الدكتور محمد فودة ، فطلبنا حضوره إلى بيت الرئيس ليقوم بعلاجه طبيعيا .

هل جرت تحريات كافية على أي طبيب جديد يدخل بيت الرئيس؟

- بالتأكيد كان هناك نظام معمول به ولكني لم أقف عليه بالضبط ، وبالنسبة للدكتور محمد فودة جاء فور طلبنا له ولم يكن هناك وقت يسمح بعمل تحريات ، ولكنه بالتأكيد كان معروفا لدى الجهات الأمنية لأنه كان بالقوات المسلحة . وقد كانت هناك احتياطات أمنية كافية بمنزل الرئيس فعلى سبيل المثال لم يكن أحد من أطباء الرئيس يحمل حقيبته أثناء الدخول أو الخروج لأن كافة الأجهزة الطبية التي قد يحتاجها في عمله كانت موجودة بغرفة الرئيس على الدوام .

وبالنسبة للدكتور محمد فودة تحضرني واقعة زيارته للرئيس لأول مرة فقد تبسط

كثيرا مع الرئيس في الحديث وكان يناديه بلقب(بك) وأخذ ـ أثناء الكشف على الرئيس ـ يتحدث عن الظروف السيئة التي مر بها المصريون والعرب في لندن أثناء الهزيمة وقال أن رؤوسهم كانت في الأرض ، وأنهم أصبحوا (ملطشة) للجميع ... وهكذا . وبعد أن انتهى الدكتور فودة وخرج خشيت أن يترك حديثه أثرا سيئا على نفسية الرئيس فقلت لا عليك من كلام الدكتور فودة فهو رجل طبيب تحدث على سجيته .. فضحك الرئيس غير مبالي وقال لي : لو أن الدكتور فودة هذا سفير في الخارجية لفكرت في كلامه ووقفت عنده ... أما وأنه طبيب جاء ليكشف ثم يمضي إلى حال سبيله ، فاتركه ليقول ما يريد ... ولا يهمك .

وبالنسبة للدكتور فودة فقد كان طبيبا متخصصا درس بانجلترا ... كما أن وطنيته كانت فوق مستوى المناقشة .

هل كان من عادة الرئيس أن يخرج عن النظام الموضوع له طبيا ويستثني من القواعد المعمول بها في الطعام أو غيره ؟

ـ بالنسبة لمرض السكر يجب أن يكون هناك نظام يعمل به لضبط الأكل كما ونوعا وكذلك ضبط الانفعالات وردود أفعاله . وأذكر أنني جلست مع الدكتور إسماعيل عبد الله رئيس معهد التغذية في ذلك الوقت لأعمل برنامجا لغذاء الرئيس تحت إشرافه ... وقد تعبت نفسي كثيراً لإعداد هذا البرنامج فقد كان طول قامة الرئيس ١٨٣ سنتيمتر والوزن المناسب لهذا الطول هو من ٧٧ إلى ٨٤ كيلو جرام ولكن وزن الرئيس كان في ذلك الوقت حوالي ٩٠ كيلو جراما ، يجب ألا يتعداه ، والكميات التي يحتاجها في الوجبة الواحدة من البروتين والنشويات والفيتامينات وهكذا ... وكان ذلك في بداية عملي مع الرئيس ، وحين ذهبت إليه لأطبق هذا البرنامج وجدته ملتزما به بطبيعته ، فلم يكن من النوع الأكول ، ولم يكن ميالاً

للأكل بطبيعته وهذا سهل كثيرا من مهمتي معه .

هذا من ناحية الأكل ، أما من ناحية الانفعالات فلم يكن لأحد أي سيطرة عليه لكي يضبط انفعالاته ... وقد أحضرت له ساعة لقياس المسافات ، وكان عليه أن يمشي حوالي ٤٠٠ متر في الحديقة جيئة وذهابا .

فيما يختص بالأكل كان مريضا مثاليا ومطيعا ، ولم يكن أكولا حتى أننا كنا «نتريق» على طباخه الخاص ... لأنه مع شخص مثل جمال عبد الناصر ـ لا يستطيع أي طباخ مهما عظم شأنه أن يظهر مواهبه وكفاءاته الحقيقية ، حتى ان زوجته ـ السيدة الجليلة «تحية» هي التي كانت في أغلب الأحيان تعد له الطعام الذي كان سهلا وقليلا وعاديا بحيث يستطيع أي شخص ـ غير محترف ـ أن يقوم به .

الرئيس لم يكن عصبيا

هل كان الرئيس عصبيا ـ سهل (النرفزة) ؟

ـ إطلاقا ... لا أذكر أنني رأيته ذات مرة عصبيا أو عالي الصوت ، ولم يكن من النوع الذي تظهر على وجهه الانفعالات بسهولة حتى أنني دخلت عليه الغرفة ذات يوم ـ بعد أن قام اليهود بعملية إنزال على ساحل البحر الأحمر ـ ووجدته يذرع الغرفة جيئة وذهاب ... فسألته : حضرتك متضايق ؟ فاندهش الرئيس وسألني ليه هو باين على أنني متضايق ؟ إلى هذا الحد كان الرئيس حريصاً على كتمان انفعالاته عن الآخرين .

وفي ذات صباح سألته مطمئنا كالعادة : إن شاء الله حضرتك تكون نمت كويس قال الرئيس وآثار الإرهاق واضحة عليه : لم انم زى ما أنا عايز ... فسألته عن السبب فقال : جرس التليفون ضرب الساعة ثلاثة بعد منتصف الليل ... وحينما لم يكن الـ...

رآني مندهشا قال : كانت النمرة غلط ... واندهشت أكثر فتليفون الرئيس كان يعمل بنظام (التحويلة) أو (البدالة) أن عامل التليفون في المنزل هو الذي ارتكب هذا الخطأ المزعج . وحينما سألت السيد محمد أحمد سكرتيره ما العقوبة التي أنزلها به الرئيس نتيجة لهذا الخطأ الذي كلفه السهر طوال الليل .. عرفت أن شيئا لم يحدث ... وأن العامل لم يعاقب بل لم يعاتب .

هكذا كان الرئيس كاظما غيظه ، وكتوم في نفسه في كل الانفعالات التي كانت تنتابه لقد كان صاحب قدرة خيالية على ضبط أعصابه .

وهل ذلك كان يؤثر على حالته الصحية بالسلب؟

ـ بالتأكيد كان ذلك يؤثر على صحته تأثيرا سلبيا .

ألم تطلبوا منه ـ أن يقلع عن هذه الطبيعة وأن يعبر عن انفعالات وغيظه بطريقة تريحه ؟

ـ لم يحدث ... لقد كان يبدو هادئا وطبيعيا ...فكيف نطلب منه أن يثور وينفعل .

لقد كان هذا نوعا من العلاج العاجل والفوري ؟

ـ أنا في رأي الشخصي أن قيمة المرء تعرف من قيمة ما يثيره ... قيمتك تقاس بردود أفعالك فالشخص التافه هو الذي يثار بأمور تافهة ، والشخص القوي لا تؤثر فيه غير الأمور القوية ودائما أنظر إلى الشخص كثير الانفعالات والصراخ على أنه شخص ضعيف يحاول إخفاء ضعفه بعلو صوته وكثرة الصراخ . ولكي تثير جمال عبد الناصر يجب أن يكون الأمر جللا وعظيما ولم يكن يثار لأسباب عادية أو صغيرة .

يسأل الطبيب ولا يسأل المجرب

هل كان الرئيس يعتمد على بعض الوصفات أو نصائح المقربين أو يعمل بمبدأ اسأل مجرب ولا تسأل طبيب ؟

ـ لم يحدث هذا إطلاقا . وذات يوم أعطاه أحد أقاربه علاجا كان قد جربه لنزلة البرد وكان الرئيس يعاني أحد نزلات البرد الحادة في ذلك الوقت ـ ووجدت الرئيس يرسل في طلبي ليسألني إن كان يأخذ هذا الدواء أم لا .

لقد ذكر الدكتور منصور فايز في مذكراته أن أنور السادات كان يعطي عبد الناصر ببعض الأدوية التي جربها هو ؟

ـ ربما يكون ذلك قد حدث في حضور الدكتور فايز ولكن في حضوري لم يحدث ذلك وحسب تجربتي كان الرئيس يسأل الأطباء فيما يتناول من أدوية ولا يأخذ منها إلا ما يأمر به طبيبه . وأطباؤه هم الدكتور منصور فايز والدكتور ذكي الرملي والدكتور محمود صلاح الدين والدكتور على المفتي والدكتور ناصح أمين للتحاليل الطبية وأنا . ولم يكن يأخذ علاجا لم يقرره واحد من هؤلاء .

هل كان للأحداث التي تشهدها مصر والأمة العربية تأثيرها السلبي على صحة الرئيس أم أنه كان يستقبلها بهدوء ؟

ـ كان الرئيس يتأثر كثيراً بالأحداث والأمور من حوله ولكي يمرض الإنسان ـ أي إنسان ـ لابد له من عاملين : عامل وراثي مولود به «جيناته» وعامل آخر بيئي ، وكان العاملان متوفرين عند الرئيس ـ فكان أحد أخوته وأحد أعمامه مريضا السكر . أما العامل البيئي ، فقد كان للأحداث الخطيرة التي شهدها الرئيس في حياته ـ منذ وقت مبكر وحتى قام بالثورة وتولي مسؤولية الرئاسة حتى أنه أصيب بمرض

السكر وهو في الأربعين من عمره ثم حدثت له مضاعفات المرض إلى أن مات بسببها .

الرئيس لا يحب الحقن

قال أحد الكتاب أن طبيب أطفال كان يعالج الرئيس من مرض القلب ، فما مدي صحة ذلك ؟

ـ هذا محض افتراء وكذب ... فالدكتور محمود صلاح الدين كان عميدا لأطباء مصر . وكانت مذكراته ونحن طلاب في كلية الطب هي نبراسنا الذي نهتدي به . وكذلك الدكتور زكي الرملي أو منصور فايز أو غيرهم ممن شاركوا في علاج الرئيس حتى أنني ـ وأنا الطبيب المرافق ـ كنت حاصلا على الدكتوراه . لم يكن ضمن الفريق طبيب مبتدئ أو غير متخصص . هذا افتراء على الواقع والتاريخ .

هل كان الرئيس متبرما من العلاج أو لا يستسيغه فيرفضه ؟

ـ نعم كان متبرما ولكنه لم يكن يرفضه ، وكان لا يحب الحقن ، وقال لي ذات يوم : ربنا عارف أنني لا أحب الحقن فكتب على حقنة كل يوم ... وكان الرئيس يأخذ حقنة أنسولين ضد السكر صباح كل يوم .

هل كان يأخذ الحقن بنفسه ؟

ـ لم يحدث مرة أن أخذ حقنة بنفسه ، وحدث ذات مرة أننا كنا في (تسخالطوبو) بالاتحاد السوفيتي حيث كان الرئيس يعالج من آلام الساق بالمياه المشعة دخلت عليه ذات صباح فقال لي أنه لم ينم طوال الليل بسبب آلام الساق ... فاندهشت وسألته لماذا لم توقظني ؟ ولماذا أنا هنا معك وبيني وبينك غرفتان فقط ؟ قال الرئيس : لكي أوقظك كان لابد من إيقاظ محمد أحمد ثم تأتي حضرتك لتوجعني بالحقنة

فاحتملت الوجع حتى الصباح ... لأن علاج الوجع بوجع ..!

ما أهم الصفات التي كانت تميز عبد الناصر الإنسان كما رأيته ؟

ـ لم يكن عبد الناصر ـ كما أشاع عنه أعداؤه المغرضون ـ ميالاً للعنف أو متسلطا بل كان رقيقا وحساسا ومحترما للناس من الآخرين إلى أقصى حدود الاحترام . أذكر أنه كان إذا أعطى ميعاد لطبيب من أطبائه كان يحترم ميعاده جدا . وفي يوم من الأيام كان يتحدث مع السيد أنور السادات فوجده مريضا وكان الدكتور منصور فايز إلى جوار الرئيس فقال لأنور السادات : معك الدكتور منصور لتتفق معه على موعد لزيارتك والكشف عليك ، وأخذ الدكتور فايز الساعة من الرئيس الذي ما أن سمع أن الموعد في الساعة السادسة بعد ظهر الغد حتى أمسك بالساعة وقال لأنور السادات : ألا تعرف أن الدكتور فايز يذهب إلى عيادته من الخامسة إلى السابعة وموعدك معه في السادسة سيشطب مواعيد عيادته .. وسيضايق مرضاه.. أرجو أن تتفق معه على موعد قبل ذلك أو بعده .

إلي هذا الحد كان الرئيس حريصا على مشاعر الآخرين ومصالحهم .

وفي ذات يوم كان موعدي معه في السابعة بعد الظهر وفوجئت بسكرتيره يبلغني أن الرئيس قدم موعده معي عشر دقائق فاندهشت وحينما ذهبت إليه قلت له : يا فندم عشر دقائق ليست مشكلة لأنني أحضر قبل الموعد بنصف ساعة ... فقال الرئيس : لقد ارتبطت بموعد مع رئيس وزراء السودان في السابعة ولو أنك حضرت في موعدك في السابعة ووجدتني مشغولا ستضطر لانتظاري وتعطل عملك مع الآخرين ... لهذا أردت أن أبلغك بتقديم الموعد حتى لا أضايقك .

إلى هذا الحد كان الرئيس حريصا على مشاعر الآخرين ، فلم يكن صلفا أو مغرورا أو متسلطا كما حاول الكارهون أن يصوره . وما من صورة بشعة وضعوه فيها إلا وكان

الرئيس على العكس منها تماما . وهناك عشرات القصص والأحداث التي رأيتها مع غيري أو شهدتها بنفسي وكلها تقول أن الرئيس كان على خلق كريم ومثاليا .

السالب والموجب في صحة الرئيس

ماذا كان يؤثر على صحة عبد الناصر بالإيجاب ويجعله يبدو كما لو لم يكن مريضا ويخفف من أثار المرض عليه ؟

ـ كان أكثر شيء يؤثر سلبا على صحة الرئيس أنه كان يعمل فوق طاقته ، وكان يعلم أنه يعمل فوق طاقته ولكن لم يكن ممكنا أن يخلد إلى الراحة أو أن يختلس بعض الساعات ليقضيها في سكينة . وكذلك كان من الأمور التي تؤثر على صحته سلبا بعض الأخبار السيئة التي كانت تأتيه من جبهة القتال بسقوط عدد من الضحايا ، خاصة من المدنيين ، وقد تعرض الرئيس لأول أزمة قلبية في حياته عام ١٩٦٩ حين قامت إسرائيل بعملية إنزال في الزعفرانة بالبحر الأحمر وقتلت عددا من خفر السواحل .

أما أكثر الأمور تأثيرا بالإيجاب على صحة الرئيس تلك الأخبار التي كانت تأتي عن إسقاط قواتنا لبعض طائرات العدو ، أو قيامها بعبور قناة السويس وتنفيذ عملية ناجحة . وقد زاد من تأثير الرئيس بعملية الزعفرانة أن قواتنا كانت قد قامت بعملية مماثلة بالبحر الأحمر وقد حذر الرئيس من أن إسرائيل ستحاول الرد بعملية مماثلة يجب أن يكونوا مستعدين لها ، ولكنهم لم يأخذوا تحذير الرئيس مأخذا جدياً مما يجعله يتأثر كثيراً .

أطباء زائرون

هل كان هناك أطباء أجانب ضمن الفريق المعالج للرئيس ؟

ـ لم يكن هناك أطباء أجانب ملازمون للرئيس بشكل دائم ، كان هناك أطباء

زائرون يوقعون الكشف على الرئيس كلما حضروا إلى القاهرة أو يتم استدعاؤهم في وقت الأزمات الحادة ليبدوا بعض ملاحظاتهم التي لم تختلف في أي وقت من الأوقات عن ملاحظاتنا نحن الأطباء المصريين ، ومن هؤلاء الدكتور «بولسون» من الدانمارك وهو متخصص في مرض السكر كذلك الدكتور فيفر من ألمانيا الغربية ، والطبيب شيزوف السوفياتي وهو متخصص في القلب والأوعية الدموية .

ألم يكن هناك طبيب يهودي من بين الأطباء الأجانب الذين كانوا يزورون الرئيس ؟

ـ لم أكن أعرف ديانة أي من هؤلاء الأطباء ، ولكني أستبعد اشتراك طبيب يهودي في الكشف على الرئيس ، فالاحتياطيات الأمنية في هذه المسألة كانت تامة وكاملة .

سبتمبر ... في حياة الرئيس

هناك وجهة نظر طبية تقول بأن الرئيس قتل بطريقة معينة ، فقد اختار أعداؤه شهر سبتمبر من كل عام ليسخنوا الأحداث في مصر والأمة العربية على النحو الذي يزيد من انفعالات الرئيس لينتهي به الأمر في النهاية إلى الموت ، ففي سبتمبر حدث الانفصال السوري ، وفي سبتمبر حدثت ثورة اليمن ودخل الجيش المصري بقواته هناك ، وفي سبتمبر انتحر المشير عامر ، وفي سبتمبر قامت إسرائيل بأول عملية إنزال في الغرب ، وفي سبتمبر وقعت أحداث الأردن . هكذا حتى وقع الرئيس ميتا في سبتمبر في ثاني نوبة قلبية له بعد النوبة الأولى التي وقعت أيضا في سبتمبر ...فهل ترى أن وجهة النظر تلك صحيحة من الناحية الطبية ؟

ـ هذا صحيح من الناحية الطبية ، فالذكرى السنوية لأي حدث من الأحداث تأتي بأثرها السلبية على النفس ، مثل الذكرى السنوية للوفاة أو الطلاق أو أي حدث مقلق في حياة أي شخص ، وقد شاهدت فيلما أمريكيا تدور قصته حول رجل أرادوا قتله فأتوا بقاتل محترف لهذا الغرض ، فطلب كل المعلومات الخاصة

بالرجل الذي يريدون قتله ، فوجد أنه يعاني من جلطة بالقلب ، فقرر أن يقتله بدون رصاص ، فأخذ يطارده ويطلق الرصاص فوق رأسه وهو لا يريد أن يصيبه فيتأثر قلبه من الفزع والرعب حتى وقع صريعا في النهاية . وقد أصيب الرئيس بالجلطة الأولى في القلب بسبب حادث الزعفرانة الذي وقع يوم ١١ سبتمبر ٦٧ .

هل كان الرئيس يطلب منكم ألا تذيعوا أخبار مرضه وأن تتكتموا ذلك عن الناس والصحافة ؟

ـ لم يحدث أن طلب منا الرئيس تكتم أخبار مرضه إلا حينما أصيب بالجلطة في القلب لأول مرة . وأذكر أنني قابلت أحد المسؤولين في بيت الرئيس فسألني عن صحته ، فأجبته إجابات عامة وعدت إلى الرئيس لأسأله إن كنت أصارح الناس بحقيقة مرضه أو تكتمها ، فأجابني الرئيس إجابة ذكية جدا فهو لم يقل لي أن أتكتم الخبر ولكنه قال إن الذين يعرفون الخبر فقط هو فلان وفلان وفلان من المحيطين به ... وكان المعنى واضحا ... إنه لا يريد لغير هؤلاء أن يعرفوا حقيقة مرضه .

ألم يقل لكم الرئيس لماذا يريد تكتم الخبر ؟

ـ لم يقل لي أنا عن السبب ... وربما يكون قد ذكر ذلك أمام الآخرين ، وطبيعي أن تكتم الإنسان أخبار مرضه عن محبيه وكارهيه على السواء ، فالذين يكرهونه سيفرحون ، والذين يحبونه سيحزنون ، وهو لا يريد ذلك لهؤلاء أو لهؤلاء .

وأمراض أخرى

ألم يكن الرئيس يعاني من أمراض أخرى غير السكر ومضاعفاته في ساقه اليمني ؟

ـ كان الرئيس يعاني من دوالي في الرئة اليمني بسبب كثرة التدخين وبسبب نزلة شعبية أصابته وهو في سن صغيرة وكانت دوالي الرئة تتسبب من آن لآخر في إصابة

الرئيس ببعض نزلات البرد .

هل حدث خطأ في تشخيص الأزمة التي تعرض لها الرئيس في مطار القاهرة ؟

ـ لا لم يحدث أي خطأ في التشخيص ، وكل ما قيل أو كتب في هذا الخصوص ليس صحيحا على الإطلاق ، فالرئيس لم يدخل في غيبوبة في أي لحظة من اللحظات ، سواء في المطار أو بعد أن عاد إلى البيت . ولكي تحدث الغيبوبة لمريض السكر لا تحدث إلا نتيجة إهمال كامل وهو لم يكن مهملا في أي لحظة بدليل أنه لم تحدث له غيبوبة بسبب زيادة السكر أو نقصانه .

إذن لم يمت الرئيس بسبب السكر ؟

ـ إطلاقا ... لقد مات بسبب جلطة في الشريان التاجي ، والتاريخ المرضي للرئيس كان يوصل لهذه النهاية حتما فهي نهاية طبيعية تتناسب مع تاريخه المرضي . فقد أصيب الرئيس بكل مضاعفات السكر من تصلب في الشرايين إلى التهاب في الأعصاب إلى آلام في الساق . وقد أصيب بالأزمة القلبية الثانية مصحوبا بما يسمي بالصدمة القلبية وهو ما يعني أن عضلة القلب أصبحت غير قادرة على الضخ لكمية الدم المناسبة للجسم فيحدث الهبوط في الضغط .. حتى العناية المركزة لا تستطيع أن تعالج هذا النوع من الصدمات ، ونحن نرى ونسمع كل يوم عن مرضى بالقلب ماتوا بغرفة العناية المركزة .

من الذي قام بكتابة التقرير الطبي الذي تناول حادث الوفاة ؟

ـ جميع الأطباء الذين حضروا الوفاة ، أنا والدكتور منصور فايز والدكتور زكي الرملي .

قيل أن الدكتور رفاعي كامل رفض التوقيع على تقرير الوفاة وطالب بتشريح الجثمان ؟

ـ هذا ليس صحيحا .. الدكتور رفاعي لم يحضر لحظة الوفاة وحضر بعدها وحين اطلع على التقرير الذي كتبناه وقع عليه لأنه لم يكن هناك أي شيء يدفعه إليى الشك هو أو غيره ...

ولم يطلب أحد من الحضور أن يشرح الجثمان لأنه ليس هناك ما يستدعي الشك .

مات مسموما؟!

ألم تظهر على الجثمان أية أعراض للتسمم ؟

ـ لم يحدث هذا مطلقا ... كانت الوفاة طبيعية لأسباب طبيعية في ظروف طبيعية للوفاة .

هل كنت مصاحبا للرئيس في الهيلتون أثناء مؤتمر القمة العربية ؟

ـ نعم ... كنت معه لأنني طبيبه الخاص .

قيل أنه تناول تفاحة أعطاها له أحد أعضاء الوفد اللبناني وكانت تحتوي على السم ؟

ـ لم يحدث أن رأيت ذلك أو سمعت عنه ، والتفاح من الفواكه التي لا يتناولها مريض السكر في أي وقت .

من الذي كان يطبخ للرئيس في الهيلتون .. وأين كان يأكل ؟

ـ كان الرئيس يأكل في جناحه الخاص ، والذي كان يطبخ له طعامه هم طباخوه من البيت والذين صاحبوه إلى الهيلتون لهذا الغرض وبالنسبة للطعام أو الأدوية فلم تكن تأتيه من مكان معين أو مخصص ولكن من أي صيدلية كانوا يحضرون الدواء وليس من صيدلية معينة ...

كذلك من أي مكان كانوا يشترون حاجة الطعام وليس من جهة معينة ...

قيل أنك كنت تعطي للرئيس دواء بطريقة الخطأ وأنك كنت تعطيه أدوية معينة أضرت به ؟

ـ كيف يحصل الرئيس على أدوية بطريقة الخطأ والذين يصفونها له أساتذة وعلماء في تخصصاتهم ، وكنت أنا ـ الذي يشرف على إعطائها للرئيس ـ أيضا حاصلاً على الدكتوراه .

ألم تكن هناك أي شبهة جنائية في وفاة الرئيس ؟

ـ إطلاقا ... لقد مات جمال عبد الناصر بأزمة قلبية مؤكدة وتوجد رسومات لقلبه موجودة لدي أسرة الرئيس حتى هذه اللحظة ويمكن الرجوع إليها للتأكد من أسباب الوفاة والطرق التي اتبعناها للتعامل معها قبل الوفاة وهي طرق لا شك في صحتها إطلاقا .

السادات وتشريح الجثمان

قيل أن الطبيب الشرعي أوصى بتشريح الجثمان ، ولكن التهامي والسادات رفضا ذلك ... فهل حدث ذلك فعلا ؟

ـ لم يحدث هذا مطلقا وليته حدث لأنه لو كان حدث لكنا قد ارتحنا من وجع الدماغ الذي نحن فيه الآن ومنذ فترة طويلة ، ولكن كيف كان سيحدث ولم يكن هناك أي سبب لحدوثه ، لم يكن هناك أي شك لدى أي شخص بوجود شبهة جنائية في أسباب الوفاة ـ كما أن الوفاة ـ كما قلت كانت طبيعية في ظروف طبيعية تؤدي للوفاة في حالة مثل حالة جمال عبد الناصر ...

لقد أصيب بصدمة قلبية مصحوبة بموت ثلث عضلة القلب وهي حالة لا تجدي معه أي محاولة من محاولات الإنقاذ التي تتم عادة في غرفة العناية المركزية ...

لم تكن هناك أي فكرة لتشريح الجثمان ، ولكن لم يكن هناك ـ ساعتئذ ـ أي سبب يدعو لذلك ، وكل الأسباب التي دعت لذلك جاءت فيما بعد ...

قيل أنه كان يجب عمل التدليك لعضلة القلب على الأرض وليس على السرير كما حدث ... فما رأيك في ذلك ؟

ـ هذا رأي من لا يعرف شيئا فالسرير الذي ينام عليه الرئيس والذي جرت عليه عملية التدليك كان ذا «ملة» من الخشب ... فالرئيس كان ينام على سرير مفروش بالخشب منذ أن أصيب بآلام الساق والسرير الخشب يساوي الأرض تماما في عملية التدليك ... لأن السرير لم يكن من النوع الهزاز ولكنه كان من النوع الثابت والتدليك عليه مثل التدليك على الأرض تماما .

هل كان الرئيس يمارس الرياضة أحيانا ؟

ـ أحيانا كان الرئيس يمارس رياضة المشي في حديقة المنزل ، وأحيانا كان يمارس رياضة التنس وقد أهداني مضرب تنس رغم أني لم ألعب التنس في حياتي ولا أعرف لماذا أهداني إياه ... كذلك كان الرئيس يمارس السباحة في الصيف ولكن لم يكن لديه الوقت للمواظبة على ذلك .

(ويك إند) الرئيس

هل كان للرئيس (ويك إند) أو عطلة نهاية الأسبوع؟

ـ لم يكن يعرف الرئيس مثل هذا النوع من الترف وكذلك لم نكن نحن ـ العاملين معه نعرف ما يسميه البعض بعطلة نهاية الأسبوع ، فالأسبوع عند الرئيس لم يكن ينتهي أبدا ولم تكن هناك نهاية للعمل والمتاعب والإرهاق في حياة عبد الناصر .

***

هل كان يستمع إلى الموسيقى ؟

ـ لم أسمعه يستمع إلى الموسيقى ولا أريد أن أقول لك شيئا لست متأكدًا منه تمام . لقد كان الرئيس يمضي معظم وقته إلى جوار التليفون ، يتصل بالمسؤولين أو يرد عليهم ، وأحيانا كنت أخرج منعا للحرج أثناء المكالمات التليفونية التي كان يجريها فكان يطلب مني البقاء ، ويقول لي : (إذا خرجت أثناء المكالمات فمعني ذلك أنك لن تدخل غرفتي أبدا)

ما رأيك فيما قاله مصطفي أمين من أن عبد الناصر قتل طبيبه أنور المفتي بالسم ؟

ـ هذا ليس صحيحا على الإطلاق ولم أسمع به إلا من مصطفي أمين ... وأستبعد أن يحدث ذلك من جمال عبد الناصر خاصة مع صديقه وطبيبه الدكتور المفتي.. فعبد الناصر ـ رحمه الله ـ كان رجلا رقيقا ودمثا ولم يكن هو الذي يطعن من الخلف أو يقتل غيلة ، ثم لم يكن هناك بينه وبين أنور المفتي ما يدعو إلى ذلك ... وكان عبد الناصر قادرا في كل وقت على أن يحتوي أكبر المخالفين له وكان يتعامل مع الجميع بصدر رحب ولم يضمر الحقد لأحد مطلقا .